

تربيـة الإمام الحسن المجتبـي (ع)

<"xml encoding="UTF-8?>



مقدمة :

يحتاج الطفل - أي طفل - إلى هندسة وموازنة بين ميوله وطاقاته ، ويفتقـر إلى تربـة صالحة ينشأ فيها وتصقل مواهـبه .

ويغـزوـه تنظيف لـموارد الثقـافة التي يتلقـاها ، والـحضـارة التي يتـتبعـ عليها ، والتـربـية التي يـنشـأـ عليها .

إـنه عـالـم قـائـم بـنـفـسـه ، يـحملـ كـل سـمـاتـ الـحـيـاة بـصـورـة مـصـغـرـة ، فـي صـخـبـها وـأـمـنـها ، فـي سـعـادـتـها وـشـقـائـها ، فـي ذـكـائـها وـبـلـادـتها ، فـي صـفـائـها وـحـقـدـها ، فـي تـفـوـقـها وـتـأـخـرـها ، فـي إـيمـانـها وـجـحـودـها ، فـي حـربـها وـسـلـمـها ، إـلـخ .

وهـذا ما أـشـغـلـ الـعـلـمـاء وـالـبـاحـثـين ، فـراـحـوا يـعـدـونـ الـبـحـوث ، وـيلـقـونـ الـمـحـاضـرات ، وـيـؤـلـفـونـ الـكـتـب ، وـيـورـدونـ النـظـريـاتـ فيـ مـسـأـلةـ (ـتـربـةـ الطـفـلـ) .

ونـشـأـ مـنـ بـيـنـهـمـ عـدـّـةـ تـرىـ أنـ سـلـوكـ الطـفـلـ مـرـتـبـطـ بـالـعـوـامـلـ الـورـاثـيـةـ الـتيـ يـحـمـلـهاـ بـيـنـ جـوانـحـهـ ، وـرأـىـ عـكـسـ ذـلـكـ آـخـرـونـ .

فـأـرـجـعواـ كـلـ أـنـمـاطـ السـلـوكـ الـفـرـديـ وـالـإـجـتمـاعـيـ إـلـىـ الـبـيـئةـ وـالـمـحـيـطـ ، وـالـتـربـيةـ وـالـتـنـشـئـةـ ، وـأـنـكـرـواـ كـلـ أـثـرـ إـلـىـ الـورـاثـةـ يـنـسـبـ .

وـبـلـغـ الخـصـامـ بـيـنـ هـاتـيـنـ المـدـرـسـتـيـنـ فـيـ عـلـمـ النـفـسـ وـالـتـربـيةـ إـلـىـ أـنـكـ ماـ تـكـادـ تـفـتـحـ كـتـابـاـ يـتـناـولـ مـوـضـوعـ التـربـيةـ إـلـاـ

ووجده إلى إحدى المدرستين يمبل ، وعن أحد الرأيين يدافع ، مفنداً الرأي الآخر .

ولعلك تتسأل : أي الرأيين أصح ؟ وأي العاملين في سلوك الطفل أهم : الوراثة أم التربية ؟!

فبدلاً من أن نجيبك على سؤالك هذا ، نسأل بدورنا أيضاً : أيهما أهم للسيارة : المحرك ، أم الوقود ؟! هذه هي مشكلة التربية .

و سنلقي الضوء في السطور القادمة على الآثار المترتبة لسيرة الإمام الحسن (عليه السلام) من خلال هذين الجانبيين المهمين .

الأول : الوراثة :

ليس هناك من شك بأن للوراثة أثراً كبيراً في صياغة الفرد صياغة مميزة بالبيئة التي انبعث منها وخلق فيها .

وبينما أبناء أبي طالب ، كان خيراً البيوت لإنشاء الإنسان الكامل ، فكيف وقد ولد الحسن (عليه السلام) من عبد المطلب مرتين ، مرة من علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وأخرى من فاطمة (عليها السلام) بنت النبي محمد (صلى الله عليه وآله) بن عبد الله بن عبد المطلب ؟ .

كما كان علي (عليه السلام) مولوداً عن هاشم مرتين ، ولا نريد أن نشرح مآثر بيت هاشم ، وبالخصوص أسرة عبد المطلب فيهم ، فإنها ملأت السهل والجبل ، بل نقول : ناهيك عن بيت بزغ منه الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله) ، والوصي العظيم الإمام علي (عليه السلام) .

وبحسب علم حساب الوراثة أن التأثير قد يكون من جهة الأب ، فيستصحب كلّ سماته وصفاته ، وقد يكون من جانب الأم ، وقد تحقق في الحسن (عليه السلام) هذا الأخير .

فقد برزت فيه سمات أمّه الطاهرة لتعكس صفات والدها العظيم محمد (ص) ، فكان أشبه ما يكون بالنبي منه بالإمام ، وطالما كان يطلق النبي قوله الكريم : (الحسن مثي والحسين من علي) .

وقد يمكن أن نجد تفسيراً لهذه الكلمة في الأحداث التي جرت بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وطبيعة الظروف التي قضت عند الحسن (عليه السلام) أن يتخد منه الرسول (صلى الله عليه وآله) أسوةً له ، دقق في التطبيق شاملة التوفيق .

فيعطي (عليه السلام) الناس من عفوه وصفحه ، ويعطي أعداءه من صلحه ورفقه ، مثلما كان يعطي الرسول (صلى الله عليه وآله) تماماً .

كما اقتضت عند الحسين (عليه السلام) أن يبالغ في شدّته في الدين ، وغيرته عليه ، ويبدي من منعنه ورفعه في أموره ، ما جعل تشابهاً كبيراً بينه وبين عهد علي (عليه السلام) مع المشركين والكافرين والضاللين .

الثاني : التربية :

لقد أولى النبي (صلى الله عليه وآلـه) ، والوصي (عليه السلام) ، والزهراء (عليها السلام) ، من التربية الإسلامية الصالحة ما أهـلـ الإمام الحسن (عليه السلام) للقيادة الكبرى .

فإن بيت الرسالة كان يربـيـ الحسن (عليه السلام) وهو يعلم ما سوف يكون له من المنزلة في المجتمع الإسلامي ، كما يوضح للمؤمنين منزلته وكرامته .

فكان النبيـ (صلى الله عليه وآلـه) يرفعـهـ على صدرـهـ ، ثم يقيـمهـ لـكـيـ يكون منتصـباـ ، ويأخذـ بيـديـهـ يـجـرهـ إـلـىـ طـرـفـ وجهـهـ الـكـرـيمـ جـرـأـ خـفـيفـاـ وهو يـنـشـدـ قـائـلاـ : (حـزـقـةـ حـزـقـةـ تـرـقـ عـيـنـ بـقـةـ) .

ومعنىـ الحـزـقـةـ : القـصـيرـ الذـيـ يـقـارـبـ الـخـطـوـ .

فـكانـ (صلى الله عليه وآلـه) يـلـاطـفـهـ وـيـدـاعـبـهـ ، ثم يـرـوحـ يـدـعـوـ : (اللـهـمـ إـنـيـ أـحـبـهـ فـأـحـبـ مـنـ يـحـبـهـ) .

ويقصدـ (صلى الله عليه وآلـه) أنـ يـسـمعـ النـاسـ منـ أـتـبـاعـهـ لـكـيـ تـمـضـيـ سـيـرـتـهـ فـيـهـ أـسـوـةـ لـلـمـؤـمـنـيـنـ ، بـكـرـامـةـ الحـسـنـ (عليه السلام) وـاحـتـرـامـهـ .

وـذـاتـ مـرـةـ كـانـ النـبـيـ (صلى الله عليه وآلـه) يـصـلـيـ بـالـمـسـلـمـيـنـ فـيـ الـمـسـجـدـ ، فـيـسـجـدـ وـيـسـجـدـونـ ، يـرـدـدـونـ فـيـ خـضـوـعـ : سـبـحـانـ رـبـيـ الـأـعـلـىـ وـبـحـمـدـهـ ، مـرـةـ بـعـدـ مـرـةـ ، ثـمـ يـنـتـظـرـوـنـ الرـسـوـلـ (صلى الله عليه وآلـه) أـنـ يـرـفـعـ رـأـسـهـ وـلـكـنـ النـبـيـ يـطـيلـ سـجـودـهـ ، وـهـمـ يـتـعـجـبـوـنـ : مـاـذـاـ حـدـثـ ؟ـ .

ولـوـ أـنـهـ يـسـمـعـوـنـ صـوـتـ النـبـيـ لـاـيـزاـلـ يـبـعـثـ الـهـيـبـةـ وـالـضـرـاعـةـ فـيـ الـمـسـجـدـ لـظـنـوـاـ شـيـئـاـ .

وـلـاـ يـرـالـوـنـ كـذـلـكـ حـتـىـ يـرـفـعـ النـبـيـ (صلى الله عليه وآلـه) رـأـسـهـ ، وـتـنـتـمـ الصـلـةـ ، وـهـمـ فـيـ أـحـرـ الشـوـقـ إـلـىـ مـعـرـفـةـ سـبـبـ إـبـطـائـهـ فـيـ السـجـودـ فـيـقـوـلـ لـهـمـ : (جـاءـ الـحـسـنـ فـرـكـبـ عـنـقـيـ ، فـأـشـفـقـتـ عـلـيـهـ مـنـ أـنـ أـنـزـلـهـ قـسـراـ ، فـصـبـرـتـ حـتـىـ نـزـلـ اـخـتـيـارـاـ) .

وـحـيـنـاـ : يـصـعـدـ النـبـيـ (صلى الله عليه وآلـه) الـمـنـبـرـ وـيـعـظـ النـاسـ وـيـرـشـدـهـمـ ، فـيـأـتـيـ الـحـسـنـانـ (عليهما السلام) مـنـ جـانـبـ الـمـسـجـدـ فـيـتـعـثـرـانـ بـثـوـبـيـهـمـ ، فـإـذـاـ بـهـ (صلى الله عليه وآلـه) يـهـبـطـ مـنـ الـمـنـبـرـ مـسـرـعاـ إـلـيـهـمـ حـتـىـ يـأـخـذـهـمـ إـلـىـ الـمـنـبـرـ ، يـجـعـلـ أـحـدـهـمـ عـلـىـ وـرـكـهـ الـيـمـنـيـ ، وـالـآـخـرـ عـلـىـ الـيـسـرـيـ ، وـيـسـتـمـرـ قـائـلاـ : (صـدـقـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ : (أـنـمـاـ أـمـوـالـكـمـ وـأـوـلـادـكـمـ فـيـتـنـةـ)ـ الـأـنـفـالـ : ٢٨ـ) .

نظرـتـ إـلـىـ هـذـيـنـ الصـبـيـيـنـ يـمـشـيـانـ وـيـعـثـرـانـ فـلـمـ أـصـبـرـ حـتـىـ قـطـعـتـ حـدـيـثـيـ وـرـفـعـتـهـمـ)ـ .

وـكـانـ (صلى الله عليه وآلـه) يـصـطـحـبـهـمـ فـيـ بـعـضـ أـسـفـارـهـ الـقـرـيبـةـ ، وـيـرـدـفـهـمـ عـلـىـ بـغـلـتـهـ مـنـ قـدـّامـهـ وـمـنـ خـلـفـهـ ، لـئـلاـ يـشـتـاقـ إـلـيـهـمـ فـلـاـ يـجـدـهـمـ ، أـوـ لـئـلاـ يـشـتـاقـ إـلـيـهـ فـلـاـ يـجـدـانـهـ .

وكان (صلى الله عليه وآلـه) يشيد بذكرهما (عليهما السلام) في كل مناسبة ، ويظهر كرامتهما إعلاناً أو تنويهاً .

فقد أخذهما (صلى الله عليه وآلـه) معه يوم المباهلة ، وأخذ أباهمـا (عليهـ السلام) ، وأمـهما (عليهاـ السلام) ، فظهر من ساطع برهانـهم جميعاً ما أذهـل الأساقـفة .

ودخل رسول الله (صلى الله عليه وآلـه) دار فاطمة (عليهاـ السلام) ، وسـلم ثلاثةً علىـ عادتهـ فيـ كلـ دارـ ، فـلمـ يـجـبهـ أحدـ .

فـانـصـرـفـ إـلـىـ فـنـاءـ ، فـقـعـدـ فـيـ جـمـاعـةـ مـنـ أـصـحـابـهـ ، ثـمـ جاءـ الحـسـنـ (عليهـ السلام) وـوـثـبـ فـيـ حـبـوـةـ جـدـهـ ، فـالـتـزـمـهـ جـدـهـ .

ثم قـبـلـهـ فـيـ فـيهـ ، ثـمـ رـاحـ يـقـولـ : (الحـسـنـ مـنـيـ وـالـحـسـيـنـ مـنـ عـلـيـ) .

وكـثـيرـاًـ ماـ كـانـ النـاسـ يـتـعـجـبـونـ مـنـ صـنـعـ الرـسـوـلـ هـذـاـ ، كـيـفـ يـعـلـنـهـ لـإـبـنـيـهـ إـعلـانـاًـ .

فـذـاتـ مـرـأـةـ شـاهـدـهـ أـحـدـ أـصـحـابـهـ وـهـوـ (صلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ) يـقـبـلـ الـحـسـنـ وـيـشـمـهـ ، فـقـالـ – وـقـدـ كـرـهـ الصـحـابـيـ هـذـاـ .
الـعـمـلـ – إـنـ لـيـ عـشـرـةـ مـاـ قـبـلـتـ وـاحـدـاًـ مـنـهـمـ .

فـقـالـ رـسـوـلـ اللهـ (صلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ) : (مـنـ لـاـ يـرـحـمـ لـاـ يـرـحـمـ) .

وـفـيـ روـاـيـةـ حـفـصـ قـالـ : فـخـضـبـ رـسـوـلـ اللهـ (صلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ) حـتـىـ التـمـعـ لـوـنـهـ ، وـقـالـ لـلـرـجـلـ : (إـنـ كـانـ اللهـ نـزـعـ
الـرـحـمـةـ مـنـ قـلـبـكـ مـاـ أـصـنـعـ بـكـ ؟ـ) .

ثـمـ لـمـ رـأـيـ سـانـحةـ سـانـحةـ أـرـدـفـ قـائـلاًـ : (الـحـسـنـ وـالـحـسـيـنـ اـبـنـيـ ، مـنـ أـحـبـهـمـاـ أـحـبـنـيـ وـمـنـ أـحـبـنـيـ أـحـبـهـ اللهـ ، وـمـنـ
أـحـبـهـ اللهـ أـدـخـلـهـ الـجـنـةـ ، وـمـنـ أـبـغـضـهـمـاـ أـبـغـضـنـيـ ، وـمـنـ أـبـغـضـنـيـ أـبـغـضـهـ اللهـ ، وـمـنـ أـبـغـضـهـ اللهـ أـدـخـلـهـ النـارـ) .

ثـمـ أـخـذـهـمـاـ هـذـاـ عـنـ الـيـمـينـ ، وـذـاكـ عـنـ الشـمـالـ ، مـبـالـغـةـ فـيـ الـحـبـ .

ولـطـالـمـاـ كـانـ يـسـمـعـ الصـحـابـةـ قـوـلـتـهـ الـكـرـيمـةـ : (هـذـانـ اـبـنـيـ وـابـنـاـ بـنـتـيـ ، اللـهـمـ إـنـيـ أـحـبـهـمـاـ ، وـأـحـبـ مـنـ يـحـبـهـماـ) .

أـوـ كـلـمـتـهـ الـعـظـيمـةـ يـقـولـهـاـ وـهـوـ يـشـيرـ إـلـىـ الـحـسـنـ (عليهـ السلام) : (وـأـحـبـ مـنـ يـحـبـهـ) .

وـبـرـىـأـبـوـ هـرـيـرـةـ الـإـمـامـ الـحـسـنـ (عليهـ السلام) بـعـدـ وـفـاةـ جـدـهـ الرـسـوـلـ (صلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ) فـيـقـولـ لـهـ : أـرـنيـ أـقـبـلـ
مـنـكـ حـيـثـ رـأـيـتـ رـسـوـلـ اللهـ يـقـبـلـ ، ثـمـ قـبـلـ سـرـتـهـ .

وـمـنـ ذـلـكـ يـظـهـرـ أـنـ رـسـوـلـ اللهـ (صلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ) كـانـ يـعـلـنـ ذـلـكـ إـعلـانـاًـ ، حـتـىـ يـرـاهـ النـاسـ جـمـيعـاًـ .

وـقـدـ بـالـغـ النـبـيـ (صلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ) فـيـ مـدـحـ الـحـسـنـيـنـ ، حـتـىـ لـكـانـ يـُـظـنـ أـنـهـمـاـ أـفـضـلـ مـنـ وـالـدـهـمـاـ عـلـيـ (عليهـ
الـسـلـامـ) ، مـمـاـ حـدـاـ بـهـ إـلـىـ أـنـ بـسـتـدـرـكـ ذـلـكـ فـيـقـولـ : (هـُـمـاـ فـاضـلـانـ فـيـ الدـنـيـاـ وـالـآخـرـةـ ، وـأـبـوـهـمـاـ خـيـرـ مـنـهـمـ) .

وطالما كان يرفعهما على كتفيه ، يذرع معهما طرقات المدينة ، والناس يشهدون ، ويقول لهم : (نَعَمُ الْجَمْلَ جَمِلُكُمَا ، وَنَعَمُ الراكبان أَنْتُمَا) .

وطالما كان ينادي الناس فيقول (صلى الله عليه وآلـه) : (الحَسْنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابَ أَهْلِ الْجَنَّةِ) .

أو يقول (صلى الله عليه وآلـه) : (الْحَسْنُ وَالْحُسَيْنُ رَبِّيْخَانَتَايِ مِنَ الدُّنْيَا) .

أو يقول (صلى الله عليه وآلـه) : (الْحَسْنُ وَالْحُسَيْنُ إِمَامَانِ إِنْ قَاماً وَإِنْ قَعَداً) .

ولقد قال (صلى الله عليه وآلـه) مَرَّةً : (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، زُيْنَ عَرْشَ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِكُلِّ زِينَةٍ ، ثُمَّ يُؤْتَى بِمَنْبِرِيْنَ مِنْ نُورٍ طَوْلَهُمَا مِائَةً مِيلًا ، فَيُوَضَّعُ أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ ، وَالآخَرُ عَنْ يَسَارِهِ ، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْحَسْنِ وَالْحُسَيْنِ ، فَيُقَوِّمُ الْحَسْنُ عَلَى أَحَدِهِمَا ، وَالْحُسَيْنُ عَلَى الْآخَرِ ، يُزَيِّنُ الرَّبُّ تَبَارِكُ وَتَعَالَى بِهِمَا عَرْشَهُ ، كَمَا يُزَيِّنُ الْمَرْأَةَ قِرْطَاهَا).

وعن الرضا عن آبائه (عليهم السلام) قال : (قال رسول الله (صلى الله عليه وآلـه) : الْوَلَدُ رَيْحَانَةُ ، وَرَيْحَانَتَايِ الْحَسْنُ وَالْحُسَيْنُ) .

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآلـه) : (مَنْ أَحَبَّ الْحَسْنَ وَالْحُسَيْنَ فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَغْضَبَهُمَا فَقَدْ أَغْضَبَنِي) .
وعنه (صلى الله عليه وآلـه) : (الْحَسْنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابَ أَهْلِ الْجَنَّةِ) .

وروى عمران بن حصين عن رسول الله (صلى الله عليه وآلـه) أنه قال له : (يا عمران بن حصين ، إن لكل شيء موقعاً من القلب ، وما وقع موقع هذين من قلبي شيء قط) .

فقلت : كل هذا يا رسول الله ؟ !!

قال (صلى الله عليه وآلـه) : (يا عمران ، وما خفي عليك أكثر ، إن الله أمرني بِحُبِّهِمَا) .

وروى أبو ذر الغفارى قال : رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآلـه) يقبل الحسن بن علي (عليهما السلام) وهو يقول : (من أحب الحسن والحسين وذرّيتهما مخلصاً لم تلفح النار وجهه ، ولو كانت ذُنوبه بعدد رمل عالج ، إلا أن يكون ذنباً يخرجه من الإيمان) .

وروى سلمان فقال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآلـه) يقول في الحسن والحسين (عليهما السلام) : اللَّهُمَّ إِنِّي أَحُبُّهُمَا ، فَأَحُبُّهُمَا ، وَأَحِبُّهُمَا مِنْ أَحَبَّهُمَا) .

وما إلى ذلك من أقوال مضيئة نعلم - علم اليقين - أنها لم تكن صادرة عن نفسه ، بل عن الوحي الذي لم يكن ينطق إلا به .

ولا زالت عنابة الرسول (صلى الله عليه وآلـه) تشمل الوليد حتى شبّ ، وقد أخذ من منبع الخير ومأثره ، فكان أهلاً لقيادة المسلمين .

وهكذا رأه الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ومن قبله إله الرسول ، إذ أوحى إليه أن يستخلف علياً ، ثم حسناً وحسيناً.

فطفق يأمر الناس بمودتهم واتباعهم واتخاذ سبيلهم ، ولئن شكنا في شيء فلن نشك في أن من ربّاه الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، كان أولى الناس بخلافته .